المبحث الأول

السياق

المطلب الأول: السياق فِي اللغة

له معانٍ عدّة منها:

الاستقامة، والتتابع وأصله (سِوَاق) فقلبت الواو ياءً بكسرة السّين، وهما مصدران من ساق يسوق سوقاً[1] ومنه انساقت وتساقت الإبل إذا تتابعت، وساق إليها الصداق والمهر سياق وإساقة[2] وكل ما انظم: فقد اتسق، والطريق يأتسق، ويتسق: أي: ينضم، وكل ما جمع فقد وسق[3].

فإذا توالت العناصر التي يتحقق بها التركيب والسبك، تسمى (سياق النص) وإذا توالت الأحداث التي صاحبت الأداء اللغوي، يسمى السياق (سياق الموقف).

والسياق اصطلاحاً: لم يحدد العلماء المتقدمين تعريفاً اصطلاحيّاً لمفهوم السياق. ووضع العلماء المعاصرين تعريفات عدة فِي ضوء بحثه السابقين وفصلوه فِي دلالات السياق، ومنها:

لفظة (السياق) تدل على الإطار الذي يجري فيه التفاهم ويشمل زمن الكلام والمفاهيم المشتركة والكلام السابق للمحادثة، الذي يؤدي إلى ترابط أجزاء الكلمات أو الجمل واتصالها أو تتابعها، وما توحيه من معنى، وهي

---

(١) ينظر: النهاية فِي غريب الحديث والأثر: ٢/٤٢٣، ٤٢٤.

(٢) ينظر: لسان العرب: ١٠/١٦٠.

(٣) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٦/٥٢٨، ٥٢٩.

مجتمعة ويُراد منه -أي السياق- القرينة[1].

والسياق هُوَ الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة على الرغم من المعاني المتنوعة التي فِي وسعها أن تدل عليها[2].

أو هُوَ الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها وَهُوَ الذي يخلق لها قيمة حضورية[3].

والسياق يقوم على تركيب يوجد الارتباط بين أجزاء الجملة فيخلع على اللفظ المعنى المناسب[4].

وَهُوَ ما انتظم القرائن الدالة على المقصود من الخطاب، سواء أكَانَت القرائن مقالية أم حالية. وبتعبير آخر: هُوَ العبارات المكونة السابقة واللاحقة والغرض الذي جاء من أجله الكلام[5].

أو هُوَ فهم النص بمراعاة ما قبله وما بعده[6].

إذن **فالسياق القرآني**: هُوَ مجرى الكلام أو انتظامه في المعاني القرآنية فِي مسالك الألفاظ السابقة واللاحقة وانتظامه بعضه ببعض.

والسياق أعم وأشمل من المقام، والمقام ضمن السياق؛ لأنّ المقام هُوَ الحالة التي يقال فيها الكلام[7].

---

(١) ينظر: علم الدلالة العربية: ٣٢؛ وجماليات السياق القرآني: ١٨.

(٢) اللغة: ٢٣١.

(٣) المصدر نفسه: ٢٣١.

(٤) دراسات فِي فقه اللغة: ٣١٢.

(٥) نظرية السياق: ٦٣.

(٦) دلالة السياق وأثرها فِي التفسير: ٦٤.

(٧) ينظر: الجملة العربية والمعنى: ٦٣.

والتناسق في اللغة: هُوَ من (نسق) وَهُوَ ما كَانَ على نظام واحد عام فِي الأشياء، ونسقته نسقاً، ونسقته تنسيقاً، ونقول: انتسقت هذه الأشياء بعضها إلى بعض أي: تنسقت[1] لأنّ الشيء إذا عطفته على شيء صار نظاماً واحداً[2] ودرّ نسق أي: منظوم[3].

أمّا التناسق اصطلاحاً: **التناسق**: ترتيب الجمل، وعطف القضايا بعضها على بعض حسبما وقعت الأول فالأول، سواء ترتيب فِي اللفظ أو فِي المعنى[4].

وَهُوَ نظام الانسجام بين الأصوات[5].

أو هُوَ: أن يؤتى بكلمات متتالية معطوفات متلاحمات تلاحماً سليماً مستحسناً بحيث إذا أفردت كُلّ جملة منه قامت بنفسه، واستقل معناها بلفظها، كقوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي وَغِيضَ ٱلۡمَآءُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّۖ وَقِيلَ بُعۡدٗا لِّلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[6] فإنّ جملها معطوفة بعضها على بعض بواو، والنسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة[7].

---

(١) العين: ٨١/٥.

(٢) تهذيب اللغة: ٣١٣/٨.

(٣) مجمل اللغة، لابن فارس: ٨٦٥/١.

(٤) ينظر: خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية: ٤٥٩/٢، ٤٦٣؛ الجدول فِي إعراب القرآن الكريم: ٣٧٥/١٤.

(٥) دراسات فِي علم اللغة: ١٩٦.

(٦) سورة هود: ٤٤.

(٧) أنوار الربيع فِي البديع: ٤٦٦/١؛ ونظرية السياق القرآني: ١٥.

ويستخدم لفظ (النسق) و(نسق الكلام) أو (نسق الآية) أو (نسق الحديث) للدلالة على السياق المتعالي، ومنه قولهم: (عطف النسق)[1].

المطلب الثاني: دلالة السياق

الدلالة لغة: دليل من الدلالة والدلالة بالكسر والفتح[2] و(دل) الدال واللام: أصلان أحدهما أنّه الشيء بأمارة تتعلمها، والآخر اضطرب فِي الشيء، والدليل: الأمارة فِي الشيء. وَهُوَ بيّن الدلالة والدلالة[3]، والدلالة أيضاً هي: كون الشيء وبحالة يلزم من العلم به العلم شيء آخر، والشيء الأول هُوَ الدال[4] والدلالة أعم من الإرشاد والهداية[5]؛ لأنّ الدلالة كون الشيء متى أطلق أمر فهم منه معناه للعلم بوضعه[6].

والدلالة اصطلاحاً: كُلّ أمر صحّ أن يتوصل بجميع النظر فيه إلى علم ما لا يعلم بالاضطرار[7].

أو هي فهم السامع مع كلام المتكلم كمال المسمى أو جزأه أو لازمه، أو هي كون اللفظ إذا أطلق دل[8].

---

(١) نظرية السياق: ٦٥.

(٢) تهذيب اللغة: ١٤/٤٨.

(٣) مقاييس اللغة: ٢/٢٥٩.

(٤) التعريفات: ١٠٤.

(٥) الكليات: ٤٣٩.

(٦) تاج العروس: ٢٨/٤٩٨.

(٧) التلخيص فِي أصول الفقه: ١/١١٥.

(٨) شرح تنقيح الفصول: ٢٣؛ ينظر: بيان المختصر شرح مختصر ابن الحاجب: ١/٩٣.

وهي فهم المعنى من اللفظ إذا أطلق بالنسبة إلى العالم بالوضع[1].

أو هي ما يتوصل به إلى معرفة الشيء كدلالة الألفاظ على المعنى، ودلالة الإشارات والرموز والكتابة، والعقود فِي الحساب، وسواء كَانَ ذَلِكَ بقصد ممن يجعله أو لم يكن بقصد[2].

❑ دلالة السياق:

أنّها ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام، وتقييد المطلق، وتنوع الدلالة وَهُوَ من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط فِي نظر، وغالط فِي مناظراته[3].

إذن فدلالة السياق القرآني: بيان الكلمة أو الجملة القرآنية منتظمة مع ما قبلها وما بعدها[4].

❑ ركنا السياق:

ومن تعريف السياق والمفهوم منه هُوَ تتابع أو توالي مجرى الكلام وانتظام المعاني القرآنية فِي سلك الألفاظ السابقة واللاحقة، يتبيّن أنّ للسياق ركنين، هما (ركن سابق) و(ركن لاحق).

والسابق لغةً: من سبق: والسين والباء والقاف، أصل واحد صحيح يدل على التقديم، يقال: سَبَقَ يَسْبِقُ سَبْقاً[5] فالسبق: التقدم، وَهُوَ ما قبل الشيء[6]،

---

(١) شرح التلويح عَلَى التوضيح: ٢٥٠/١.

(٢) المفردات فِي غريب الحديث: ٣١٧؛ ينظر: البحر المحيط فِي أصول الفقه: ٥٣/١.

(٣) البرهان فِي علوم القرآن: ١٧٢/٢.

(٤) دلالة السياق القرآني فِي تفسير أضواء البيان، للعلاّمة الشنقيطي: ١٤.

(٥) مقاييس اللغة: ١٢٩/٣.

(٦) الكليات: ٥٠٨.

والجمع (سابقات)[1].

والسياق السابق فِي الاصطلاح: هُوَ مطلع وأول الجملة أو النص القرآني المراد بيانه وإيضاحه[2].

أمّا **اللاحق لغةً:** من لحق، يقال لَحِقْتُه وألحَقته بمعنى تَبِعْتُه وأتْبَعْته. واللحق: شيء يُلحق بالأول[3] وَهُوَ ما يجيء بعد شيء يسبقه[4] أو ما يأتي بعد السابق[5].

والسياق اللاحق فِي الاصطلاح: هُوَ ما تبع مطلع النص القرآني وما يجيء بعده، أو هُوَ آخر ذَلِكَ النص[6].

إذن فمطلع النص القرآني وآخره يسمى السياق القرآني، أي إنّه: ما تساق فيه الألفاظ والعبارات متتابعة أولها بآخرها، سواء أكانت آية واحدة أم نصّاً قرآنيّاً كاملاً تلحق آخرها بسابقتها.

يتبيّن من ذَلِكَ أنّه هناك ترابطاً فِي النص القرآني منظّم ومرتّب يوضح دلالة النص ويبيّنه، يجعل اللفظ دالاً على المعنى المراد منه، كما فِي ألفاظ النصوص المنظومة المتتابعة المعطوفة الترتيب أي: متناسقة فِي المعنى والموضوع والإيقاع النفسي والفني والصوتي.

---

(١) معجم اللغة العربية المعاصرة: ١٠٢٩/٢.

(٢) دلالة السياق القرآني فِي تفسير أضواء البيان، للعلاّمة الشنقيطي: ١٧.

(٣) تاج العروس: ٣٥٠/٢٦، ٣٥١.

(٤) المعجم الوسيط: ٨١٨/٢.

(٥) معجم لغة الفقهاء: ٣٨٧/١.

(٦) دلالة السياق القرآني فِي تفسير أضواء البيان، للعلاّمة الشنقيطي: ١٧.